المقصورة[1] الناجية

تقوم مصلحة الآثار السورية منذ ثلاث سنين باعمار قسم من الجدار الشمالي في الزاوية الشرقية في الجامع الأموي . وهذا الجدار ببنائه الحالي عمر في سنة (٥٠٣) كما تشير الى ذلك عدة كتابات منقوشة عليه . والظاهر انه تأثر بحريق سنة (٤٦١) فنقض وجدد بناؤه بعد اثنتين واربعين سنة من تاريخ الحريق او ثمان وعشرين عاماً من تاريخ تجديد بناء الجامع ولا يبعد ان يكون العمل استمر في الجامع الى سنة (٥٠٣) .

على ان هذا الجدار تأثر بعدة زلازل كانت بعد هذا التاريخ أعظمها زلزال سنة (١١٧٣) الذي أحدث تخريبات عظيمة في دمشق والجامع الاموي . منها هذا الجدار الذي وقع قسم منه على أرض المسجد ودار بني الغزي في الجهة التي تجري فيها الاصلاحات الآن وامال هذا الجدار نحو الشمال (٦٥ سم)

وهذه الزاوية الشرقية الشمالية التي يجري فيها الاصلاح الآن كان لها ماض مجيد من الجهة الثقافية فكان فيها خزانة كتب وحلقة علم تتمثل فيهما الحركة العلمية في دمشق بالعهد الأيوبي أحسن تمثيل وهي التي عرفت في كتب التاريخ « بالمقصورة الناجية » .

مساحة هذه المقصورة : تبلغ مساحتها من الشرق الى الغرب خمسة أمتار و (٣٠ سم) ومن الشمال الى الجنوب مثل ذلك وشرقيها وشماليها جدارا الجامع . وفي الجدار الشرقي باب يدخل منه الى دار لطيفة فيها بعض حجرات كانت تابعة لهذه المقصورة يسكنها في عصرنا مؤذنو الجامع أما الغرب والجنوب فمفتوحان

---

(١) المقصورة في المسجد قسم منه يحاط بسياج من خشب مزخرف أو نحوه لا يدخلها إلا المختصون بها . ويحدثنا ابن جبير في رحلته حينما زار الجامع الأموي عن عدة مقاصير كانت فيه وانها تتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس وهي من جملة مرافق الطلبة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى اروقة الجامع غير انه كان لها حواجز خشبية بصناعة مزخرفة لطيفة يوجد نموذج منها على مقربة من المقصورة في مسجد الحسين موضوعة على نوافذ كبيرة بين المشهد الخارجي والمشهد الداخلي . وقد اظهرت الحفريات الجديدة الاساس الذي كان يقوم عليه الحاجز الغربي للمقصورة التاجية .

انشاؤها : لا نعرف كيف نشأت هذه المقصورة وفي أي زمن انشئت ولكن النعيمي في تنبيه الطالب [١] يفيد بأنها كانت تعرف بابن سنان ثم بالتاجية ثم بالسلارية فمن هو ابن سنان هذا وفي أي عصر كان ؟

يقابل هذه المقصورة من جهة الغرب مقصورة شافعية تعرف بالزاوية الغزالية [٢] لأن الغزالي الشهير نزلها ودرس فيها بعد الشيخ نصر المقدمي المتوفى سنة (٤٩٠) ووقف عليها صلاح الدين الأيوبي قرى بصيدا [٣] .

فالظاهر ان المقصورة التاجية وهي حنفية انشئت في الجانب الشرقي لتناظر الزاوية الغزالية الشافعية في الغرب فكانت التاجية معقلاً علمياً للتكتل الحنفي يدعمها ملك دمشق (المعظم عيسى) ذو الحماسة الشديدة لمذهبه الحنفي [٤]

فتاج الدين الكندي استاذ الملك ، والمؤرخ الشهير بسبط ابن الجوزي الحنفي — صديق الملك — وكان من أعظم وعاظ عصره يعظ الناس قبلي هذه المقصورة بكرة النهار كل يوم سبت فكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع ويتركون

---

(١) نسخة خطية في المجمع العلمي بدمشق [١ : ٢٠٦] منها . وتؤيد الكتابات المنقوشة على الأحجار في هذه المقصورة هذا النص . وفي البداية والنهاية [١٣ : ٧٢] ما يفيد بأنها تدعى مقصورة ابن سنان الحلبية ، كما تدعى الحلبية فقط ، ويسميها ابن فضل الله العمري في مسالك [١ : ١٩٦ و ١٩٢] بالحلبية . (٢) كانت هذه المقصورة على هيأة قبة من خشب مطلي بدهان أخضر سكنها في الأزمنة المتأخرة مهاجرة الأفغان ثم أخرجوا منها سنة [١٣٣٦ هـ] قريباً ورفعت هذه القبة وأتلفت حتى لا يعود اليها أحد . (٣) طبقات السبكي [٤:١٠٦] وتنبيه الطالب (٤) لمعرفة شدة حماسه للمذهب الحنفي يراجع ابن خلكان [١ : ٥٠٢] النجوم الزاهرة [٦:٢١١] السهم المصيب في كبد الخطيب وهو من مؤلفاته للانتصار لابي حنيفة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البساتين في الصيف حتى يسمعوا ميعاده وكان تاج الدين الكندي وغيره من المشايخ يحضرون عنده تحت قبة يزيد[١] التي عند باب المشهد كما كان الملك المعظم يحضر دروسه في بعض الأحيان . ومحمد بن عروة الموصلي — وهو من خواص الملك المعظم — انشأ على مقربة من التاجية مقصورة اخرى اشتهرت بالعروية وقف فيها درس حديث وخزائن كتب .

فهذه أمور كلها تشير الى التكتل الحنفي الذي كان يغذيه الملك المعظم ويحميه .

وكان لهذه المقصورة قيمة عظيمة في نظر الناس فحينما قدم قاضي القضاة صدر الدين الحنفي البصراوي الى دمشق من القاهرة وخرج الناس لتلقيه وهنؤه قرئ تقليده بالمقصورة الكندية في الزاوية الشرقية من جامع بني أمية[٢] وأقدم وثيقة لدينا عنها هي الكتابة المنقوشة على الجدار الشمالي جهة الغرب منها المتضمنة أوقافاً على هذه المقصورة من قبل ناصح الدين الغيدي ويرجع تاريخها الى سنة (٥٨٩) . وناصح الدين هذا لا نعرف عنه اكثر مما جاء في الروضتين[٣] فقد ذكر مؤلفها في حوادث سنة (٥٨٣) ان صلاح الدين جمع الأسارى المعروفين وسلمهم الى والي قلعة دمشق الناصح الغيدي . وهناك وثيقة ثانية عنها هي اجازة تاج الدين الكندي المؤرخة سنة (٥٩٨) وهي تفيد قائمة عظيمة باسماء ستة وثمانين شخصاً من العلماء والأدباء والأمراء والأعيان وغيرهم الذين سمعوا على تاج الدين المذكور المجلدة الرابعة من شرح معاني الآثار للطحاوي في المقصورة المذكورة بالتاريخ المتقدم وبتاج الدين هذا عرفت هذه المقصورة فترجم لها النعيمي في تنبيه الطالب باسم الزاوية التاجية .

---

(١) البداية والنهاية [١٣ : ١٩٦] وقبة يزيد هذه كانت تعرف قبل عصر ابن كثير بقبة زين العابدين ، وتعرف في عصرنا بقبة الساعات . وكانت قائمة على أعمدة كقبة المال القريبة من الزاوية الغزالية ولكنها سقطت في زلزال سنة [١١٧٣] فأعيد بناؤها على جدران وهذه القبة هي المقابلة لباب مشهد الحسين المعروف في كتب التاريخ بمشهد علي .

(٢) البداية والنهاية ١٤ : ٦٢ . (٣) ٢ : ٧٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مكتبة هذه المقصورة : كانت المكتبة ولا تزال جزءاً من أجزاء المدرسة لذلك كان من اللازم ان يكون لهذه المقصورة مكتبة يلجأ اليها الدارسون للمطالعة والدراسة . وقد أشار لهذه المكتبة عدد من المؤرخين ويحدثنا ابوشامة انه وجد فهرس هذه المكتبة بخط واقفها تاج الدين الكندي وان عدتها (٧٦١) مجلداً وهذا تفصيلها [١] :

(١٤٠) علوم القرآن و (١٩) الحديث و (٣٩) الفقه و (١٤٣) اللغة و (١٢٢) الشعر و (١٧٥) النحو والتصريف و(١٢٣) علوم الأوائل من طب وغيره

ويجب ان لا نغفل عن نص ابن خلكان الذي يقول فيه عن الكندي انه لما سافر الى مصر اقتنى من كتب خزائنها كل نفيس وما قاله ابن القفطي انه اقتنى من كتب خزائن الديار المصرية عند ما بيعت في الأيام الناصرية كل نفيس على قلة ما ابتاعه . ومن الواضح ان ابن القفطي يريد بهذه الخزائن خزائن الفاطميين وان المراد بالأيام الناصرية أيام صلاح الدين . ومن هذا نعلم قيمة هذه المكتبة القيمة رغم قلة عددها على ان ياقوت الرومي — وهو الخبير بالكتب وقيمها — يعظم من شأن هذه المكتبة فيقول عن تاج الدين الكندي : وكانت له خزانة كتب جليلة في جامع بني أمية [٢] .

ويقول أبو شامة : وكان معتقه نجيب الدين ياقوت قد هيأ لها خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الحنفية المجاورة لمشهد زين العابدين بجامع دمشق ونقل اليها جملة من هذه الكتب ثم انها تفرقت وخرجت عن الخزانة وعدمت وبيع جملة منها سراً وجهراً [٣] .

ويترجم ابن كثير [٤] مولى تاج الدين الكندي فيقول : ياقوت ، ويقال له يعقوب بن عبد الله نجيب الدين مولى الشيخ تاج الدين الكندي وقد وقف اليه الكتب التي بالخزانة بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق وكانت سبعمائة واحدى وستين مجلداً ، ثم على ولده من بعده ثم على العلماء فتمحقت هذه الكتب

(١) ذيل الروضتين (٢) معجم الأدباء ١١:١٧٥ (٣) ذيل الروضتين (٤) البداية والنهاية ١٣:١١٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبيع أكثرها وقد كان ياقوت هذا لديه فضيلة وأدب وشعر جيد وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب سنة (٦٢٣) .

ورغماً عن مبالغة ابي شامة وابن كثير في تمزيق هذه المكتبة فاننا نجد ابن فضل الله العمري المتوفى سنة (٧٤٩) يشير الى ان مكتبة المقصورة كانت موجودة في عصره[١] على انه أنشيء الى جانب هذه المقصورة مكتبة ومقصورة علم كانت كالدعامة لها فقد أنشأ محمد بن عروة المتوفى سنة (٦٢٠) في مشهد الحسين الملاصق لهذه المقصورة خزانة كتب ودرس حديث[٢] ويحدثنا ابن ابي أصيبعة[٣] بأن أبا الفضل بن عبد الكريم المهندس اختصر الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني وكتب نسخة منه بعشر مجلدات ووقفها في الجامع الأموي مضافة الى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن عروة .

كتابات المقصورة القديمة : في هذه المقصورة خمس كتابات بخط نسخي عادي منقوشة على أحجار في الجدران داخلها تعطينا فكراً عن نواح قيمة فيها . وقد تناثر كثير من حروف الكتابة فلم تظهر معالمها . ومن الغريب ان بعض الناس أخذ في قراءة هذه الكتابات فظهر له منها انها اسماء عقارات موقوفة على المومسات

الكتابة الأولى : على الجدار الشمالي في المقصورة (٦٣ × ٧٣) ونصها : (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الأمير (٢) ناصح الدين الغيدي بن محمود تقبل الله (٣) منه الربع من قرية دربل من الاقليم[٤] (٤) وعمارة الفندق الذي أنشأه خارج باب (٥) شرقي على القراء الأخيار الحفاظ الحنفية (٦) يقرأ كل واحد سبعاً من القرآن بكرة كل (٧) يوم في هذه المقصورة ويلقن الصبيان المتعلمين (٨) لكتاب الله بها على ما ذكر في كتاب الوقف (٩) المقر لها وذلك في سنة تسع وثمانين [ن] وخمس [مائة] .

(١) مسالك الأبصار ١ : ١٩٦ (٢) تنبيه الطالب مخطوط والبداية والنهاية ١٣ : ١٠١
(٣) عيون الأنباء ٢ : ١٩١ (٤) الاقليم هو ما يسمى في عصرنا بقضاء وادي العجم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتابة الثانية : في الحائط الشرقي على يمين الداخل الى الدار المعروفة قديماً بالحلبية (٧٩ × ٥٥) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الفقير الى رحمة الله تعالى (٢) الحاج الياس بن بشارة بن أبي الحسن[١] جميع البستان المحدو (٣) د الموصوف بقرية كفرسوسية ونصف وثمن الحقول (٤) التي تحت المنيب[ع][٢] على المقصورة الشرقية الحنفية المعروفة (٥) بمقصورة بن سنان وقفا على الخبز والكسوة بما يراه النا [ظر] (٦) الى كتاب الوقفية وذلك في جماد الأول سنة احدى وستمائة للهجرة .

الكتابة الثالثة : على مقربة من الكتابة الأولى أسفل منها قليلاً (٩٠×٨٠) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الفقير الى رحمة الله تعالى (٢) السلار اسماعيل بن سليمان بن ايداش[٣] عن الحاج الياس بن بشارة (٣) ابن ابي الحسن جميع ما ابتاعه بثلث ماله الذي أوصى به في ذلك وهو (٤) بدمشق وظاهر [ها] منه دار بدرب المحرزيين من ناحية درب (٥) الريحان[٤] ومنه أربعة اسهم وثلث وربع سهم من اربعة وعشرين سهماً (٦) من كل واحد من الثلاث الحوانيت بسوق الأ[سا كفة] العتق ومنه الثم[ن] من الفندق (٧) والعشر حوانيت و [منه] . . بالعقيبة تعرف . . . [و] منه ثلث الث . . . . . ه (٨) المعروفة بالطيرة [خارج الس]ور على الفقراء والمساكين . . . . (٩) . . . . . (١٠) . . . . خمس عشرة وستمائة .

الكتابة الرابعة : خلف الدعامة التي ترتبط بها أقواس الرواق الشمالي مع الرواق الشرقي وتجعل المقصورة مربعة الشكل (٦٦×٨٣) ونصها : — (١)

(١) هو أحد أصدقاء التاج الكندي وتلاميذه وسيأتي ذكره فيمن سمع عليه شرح معاني الآثار

(٢) المنيب محلها قديماً مكان حارة الحلبوني اليوم (٣) اسماعيل بن سليمان بن ايداش ابو طاهر الحنفي ابن السلار حدث عن الصائن هبة الله وعبد الخالق بن أسد وتوفي في ذي القعدة سنة [٦٣٠] شذرات ٥ : ١٣٥ (٤) درب الريحان هو الدرب الذي شرقي البزورية قبيل خان اسعد باشا العظم وعلى صفه ويعرف اليوم بسوق التبن وفيه دار القرآن والحديث التنكزية المعروفة في عصرنا بالمدرسة الكاملية نسبة الى الشيخ كامل القصاب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

[بسم الله الرحمن الرحيم وما تف] ملوا من خير يوف اليكم وانتم (٢) [لا تظلمون] هذا . . بسر العبد الفقير الى غفران (٣) [ربه الا] مام العلاء [ة] حجة العرب تاج الدين الكندي ابو اليمن زيد (٤) [ابن] حسن الكندي تقبل الله منه وأثابه الجنة اوقف (٥) . . . . بس تسعة اسهم من اربعة وعشرين سهماً من (٦) . . . . [فن]دق والحمام والعشرة حوانيت المعروفة (٧) . . . . . [فن] دق الحوانيت انشاء ابن امرائيل تصرف (٨) في [ر]جب وشعبان ورمضان في ليالي الجمع (٩) . . . . . نسوة وغيره ودار جامعة في درب العجم[1] (١٠) و . . . . . مع مقرئين يقرؤن في كل ليلة بعد صلاة . . . (١١) . . . . . صف سبع من القرآن الع[ظيم] فمن بدله (١٢) [بعد] ما سمعه فانما اثمه على الذين [يبدل]ونه (١٣) وعلى القراء حجرة طباق الزقاق[2] . . . (١٤) من ربيع الآخر سنة تسع وثلثين وستمائة[3] .

الكتابة الخامسة : على الجدار الشمالي غربي المقصورة الى جانب الكتابة الأولى (٧٥ × ٧٣) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الأمير . . . . . الدين (٢) . . . . بن الأمير عز الدين ياقوت ال . . . . العبدي (٣) رحمه الله جميع السهام الأربعة التي في السدس شائعاً من (٤) . . . من ضيا (٥) . . . . . (٦) . . . . سبع وخمس [ين] وستمائة .

* * *

وبعد فلا نعلم الزمن الذي اضمحل فيه أمر هذه المقصورة والظاهر من كلام عبد الباسط العلموي المتوفى سنة (٩٨١) انها كانت معروفة في عصره . وحينما حصل زلزال سنة (١١٧٣) وحصل الخراب في هذه البقعة لم نجد أحداً يشير اليها مما يدل على أنها كانت غير معروفة في هذا التاريخ .

محمد احمد دهمان

---

(١) عين أبو شامة في ذيل الروضتين مكان درب العجم بأنه في جيرون وجيرون هي شرقي باب الجامع الأموي الشرقي وتعرف اليوم بالنوفرة .

(٢) هذا السطر وما بعده ألحق إلحاقاً بخط دقيق

(٣) توفي تاج الدين الكندي سنة [٦١٣] فتكون هذه الكتابة قد نقشت بعد وفاته بـ [٢٦] سنة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net